

نقض التحليل النفسي وإنقاذ الرغبة بالتحليل السكيزوفريني عند جيل دولوز

Refuting psychoanalysis and saving desire with schizophrenic analysis of Gilles Deleuze

فلسفة جامعة وهران 2 محمد بن أحمد- (الجزائر)

* Hafiane Malika حفيان مليكة

malikhfiane@yahoo.com

فلسفة جامعة وهران 2 محمد بن أحمد- (الجزائر)

souarit benamar سواريت بن عمر

Sarauteomar@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2023/05/05

تاريخ القبول: 2023/05/03

تاريخ الإرسال: 2023/03/19

ملخص: يطرح جيل دولوز عدة تساؤلات حول التحليل النفسي: ماذا تعني الرغبة عند المحلل النفسي؟ هل هي مجرد رغبة نفسية أم شيء آخر؟ ولماذا يرجعها فرويد إلى نقص أو عيب أو سلب وبالتالي لايد من استبدالها أو اختزالها أو إلغائها تماما؟ يفند دولوز فكرة اعتبار الرغبة نقص أو فقدان لشيء، ويراهام امتلاء، الرغبة بسيطة جدا، وتظهر ببساطتها في طبيعتها حيث أن كل شيء يعتبر رغبة؛ كـرغبة النوم، والمشي والإنصات للموسيقى، والكتابة...الخ ولا تتوقف الرغبة على هذه المجالات بل تتعداها إلى أمكنة وأجواء مغايرة. ولا يمكن أبدا إحالتها أو تأويلها كما يفعل التحليل النفسي. لذلك فإن التحليل السكيزوفريني ينقذ الرغبة من العوائق التي تكبلها إذ يعمل على توفير كل الإمكانيات من أجل تحريرها. وكلما تحررت استطاعت وفق ذلك أن تبدع وتبتكر.

الكلمات المفتاحية: جيل دولوز؛ الرغبة؛ اللاشعور؛ التحليل النفسي؛ التحليل السكيزوفريني

Abstract: Gilles Deleuze asked with several questions about psychoanalysis: What does desire mean for a psychoanalyst? Is it just a psychological desire or something else? Why does Freud attribute it to a deficiency, defect, or negligence, and therefore it must be replaced, reduced, or completely abolished?

Deleuze refutes the idea that desire is a lack or loss of something, and sees it as a fullness. Desire is very simple, and appears in its simplicity in its nature, since everything is considered desire; Such as the desire to sleep, to walk, to listen to music, to write...etc. The desire does not depend on these areas, but extends beyond them to different places and atmospheres. It can never be referred or interpreted as psychoanalysis does. Therefore, schizophrenic

analysis rescues desire from the obstacles that hinder it, as it works to provide all possibilities for its liberation, and whenever it is liberated, it can create and invent.

Key words: Gilles Deleuze; Desire; unconsciousness; psychoanalysis, schizophrenic analysis

مقدمة:

إن الحركة الانقلابية التي شهدتها الساحة الفرنسية في ماي 1968 كانت مبشرة خير لدحض الأفكار التي كانت تأخذ صيغة الصنم؛ وتلقي بذاتها مؤسّسة لسلطة تحكمية تفرض حقيقة تراها هي أمام عينها دون سواها. يمكن نعت حركة الطلاب الفرنسية التي أحدثت ضجة واسعة النطاق؛ إذ امتدت إلى ما هو خارج التراب الفرنسي إلى جميع أنحاء أوروبا وإلى أمريكا، بأنها لحظة مراجعة الذات الغربية التي تفضي حتما إلى تأويلات أخرى لهذا الزمن الجديد والمختلف (Différent).

والاختلاف (Différence) أمر لا بد منه للكشف عن حقيقة الذات الغربية؛ ذلك ما دعا إليه الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز (Gilles Deleuze) بمعية صديقه الطبيب النفسي فليكس غتاري (Felix Guattari) في الهجوم على التحليل النفسي (Psychnalyse) الذي ابتغاه فرويد (Sigmund Freud) انطلاقاً من الثالث: الأب، الأم، الطفل منهجا علميا مُصوباً. يجعل فرويد من اللا شعور (L'Inconscience) صورة عن واقع سيكولوجي، ويرتكز فيه على مبدأ كان حدسا فلسفيا لكبار الفلاسفة اليونانيين كأفلاطون (Platon) الذي انتبه إلى دور الحياة الجنسية والحب والرغبات الجسدية. فقد ورد في إحدى محاورات أفلاطون "المأدبة" حديث على لسان الطبيب أريكسيماخوس يقرر بأن الطب هو العلم بألوان الحب والرغبات الجسدية¹. وهذه تعتبر حجة يستفيد منها فرويد وهو القائل: « التحليل النفسي طريقة غرضها شفاء الأمراض العصبية أو تحقيق تقدم على طريق البرء منها»² والواقع أنه لا وجود لتداعيات حرة لأن عملية التداعي تخضع للحتمية النفسية، فما يقوله المريض أثناء الجلسة التحليلية يُلقى به في حضرة الماضي (Passé). يوضح فرويد ذلك بقوله: « إنه لفي وسعي من الآن تحديد الحلم بأنه بديل عن كل المضمون العاطفي والعقلي لتداعيات الأفكار التي قادتني إلى التحليل.»³ وفي هذا الإطار يبدو أن أعماله كلها تتخذ الطابع الإكلينيكي، مما

¹ فرويد سيغموند: حياتي و التحليل النفسي. تر: مصطفى زيور. دار المعارف. مصر. ط. 1. 1981. ص 42.

² فرويد سيغموند: مسائل في مزاولة التحليل النفسي المعاصر. تر: جورج طرايشي. دار الطليعة للطباعة. بيروت. ط. 1. 1981. ص 10.

³ فرويد سيغموند: الحلم وتأويله. تر: جورج طرايشي. دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. ط. د. 1992. ص 15.

أكسبها مؤهلات وامتيازات لخدمة المرضى وذوي المشكلات النفسية والعقلية. وتنبع ميول الإنسان ورغباته وفق النظرية الفرويدية من طاقة بيولوجية عامة ذات طاقات أخرى تعمل على الهدم ويمثل إيروس؛ الطاقات البناءة مثل غرائز الجنس؛ الليبيدو ويسبب هذا الليبيدو توترا مؤلما لا يخفف إلا عن طريق عملية الاسترخاء الجسدي ولقد سعى فرويد الخلاص من التوتر المؤلم "لذة"¹. وهنا يأتي فك النزاع والصراع النفسي لدى الشخص حيث يتم ضبط النفس ومجاراة النظم الاجتماعية. لذلك يقول فرويد: «الأنا الأعلى غالبا ما يبدي من القسوة ما لم يشاهد مثله، عند الوالدين الحقيقيين، فضلا عن ذلك فهو يؤنب "الأنا" لا على ما يقوم به من الأعمال فقط، بل أيضا على أفكاره ونواياه التي لم تنفذ، والتي يكون "الأنا الأعلى" على علم بها فيما يبدو.»²

وإذا تصادمت الرغبات مع المبادئ العقلية للفرد، فإن نضج شخصية هذا الأخير تعتمد في الأساس على كيفية التفاعل مع هذه المواقف المتناقضة. بل حتى أن تطور الحضارة فيما يرى مرهون بتصعيد (sublimation) دوافع الإنسان ورغباته وغرائزه الليبيدية الأصلية وبكبتها أيضا، لأن الحضارة الغربية تتطلب ذلك وإلا عمّ اللانظام والفوضى في نظر التحليل النفسي الأثرودكسي.

في هذا الإطار لا نجد توافقا بين فرويد في تصوراتهِ مع فلاسفة الحياة، والإرادة كشوبنهاور (Arthur Schopenhauer) الذي سبق التحليل النفسي بفرضية الإرادة اللاواعية، التي تقابل بشكل أو بآخر الغرائز النفسية التي تحدث عنها فرويد. وهو قد تكلم عن دور مهم لشوبنهاور في نظرية الغرائز عندما قال بأن هذا الفيلسوف هو الذي ذكّر البشر بأهمية صبواتهم الجنسية المبهون من شأنها على الدوام³. لكن ورغم نجاح مشروعه - التحليل النفسي - واعتباره مخلص المرضى من عقدة أوديب، تكتشف عيوبه وتفضح معالجته المشعوذة. ويسقط صنم فرويد من عليائه. يحطم ذلك الصنم كلا من دولوز وغتاري. مع أنه وجهت عدة انتقادات للنظرية الفرويدية منذ صدورهما، غير أن الفترة التاريخية الحاسمة كانت أكثر قوة وحدة في زمن جيل دولوز. إذا جاز لنا القول

¹ فروم إريش: ما وراء الأوهام. تر. صلاح حاتم. دار الحوار للنشر والتوزيع. اللاذقية. ط. 1. 1994. ص 37.

² فرويد سيغموند: معالم التحليل النفسي. تر. عثمان نجاتي. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. ط. 5. 1986. ص 137.

³ فرويد سيغموند: ابليس في التحليل النفسي. تر: جورج طرايشي. دار الطليعة. بيروت. ط. 3. 1999. ص 102-103.

يمكن اعتبارها مرحلة الانقلاب الثوري على الممارسات القمعية السلطوية في المجتمع الفرنسي في نهاية الستينات حيث كانت كافية لإصدار عمل ضخمة وعظيم الأهمية بالتعاون مع صديقه فليكس غتاري (Félix Guattari) تمثل في كتاب: «Capitalisme et Schizophrénie» (رأسمالية وسكيزوفرنيا) في جزئه الأول: L'Anti Œdipe ضد أوديب عام 1972، الذي يعتبر بحق من أفضل الكتب التي أثرت الحقل الفلسفي في السنوات الستينات، كما يعتبر أول عمل نظري مستوحى من مبادئ الحركة الطلابية الاحتجاجية في ماي 1968. ثم يليه بعد سنوات الجزء الثاني: «Mille plateaux» (ألف هضبة) سنة 1980. وهو لا يقل أهمية عن الجزء الأول إذ يستمر في العمل النقدي. ويتعلق بمحاولة البحث عن أسباب عجز التحليل النفسي إذ يربطها بطبيعة المجتمع الرأسمالي من ناحية، وأما من الناحية الثانية بعدم قدرة التحليل النفسي على إدراك ظاهرة نفسية هي وليدة هذا المجتمع، وهي ظاهرة الفصام (السكيزوفرنيا). وهكذا ينطلق دولوز وغتاري من التأكيد على حقيقة أن النظام الرأسمالي أصبح حقيقة فاضحة: هذه الحقيقة التي نتج عنها الاستلاب في مجتمع يحكمه منطق الربح والإنتاجية الذي صُنّف الإنسان ضمن الأشياء.

يطرح دولوز عدة تساؤلات حول التحليل النفسي: ماذا تعني الرغبة عند المحلل النفسي؟ هل هي مجرد رغبة نفسية أم شيء آخر؟ ولماذا يرجعها فرويد إلى نقص أو عيب أو سلب وبالتالي لا بد من استبدالها أو اختزالها أو إلغائها تماما؟ إن التحليل النفسي لا يحلل الرغبة في حد ذاتها، وإنما يعمل دائما على تأويلها وردها إلى شيء آخر. وقد أعطى دولوز أمثلة كثيرة في هذا المجال كرغبة الشخص المريض في الانضمام إلى جماعة الهيببي (Groupe de Hippie) إذ كان المحلل النفساني يغير اللفظ من Hippie إلى Pipi (التبول). وعندما يقول أحد المرضى مثلا: أفواه الرون (Les bouches des Rhônes)¹ فإن المحلل النفساني يحيله إلى شيء آخر، ويؤوله بحسب ما يريده هو أي إلى فم الأم.

وهناك أمثلة كثيرة في هذا المجال مما يوحي بشكل واضح إلى أن المحلل النفسي في نظر دولوز لا يساعد المريض في التخلص من العوائق التي تمنعه من تحقيق رغبته. فكل

¹دولوز جيل: حوارات. كلير بارني: حوارات في الفلسفة والأدب و التحليل النفسي و السياسة.تر: عبد الحى أرزقان، أحمد العلمي.

إفريقيا الشرق، المغرب، لبنان. د/ط. 1999. ص 31

مريض يطمح دائما إلى تحسين حالته الصحية كما يتمنى أن يصل إلى مرحلة الشفاء وتجاوز عتبات المرض. غير أنه لا يلقي غايته. وبدلا من أن يرى في المحلل النفسي المخلص من أجل أن يفك عنه قيوده وعقده النفسية التي يتخبط فيها ما بين الفينة والأخرى، فإنه يجره ككلب لطيف ويضاعف له المكبلات والموانع، وأما تلك الرغبات فإنها تبقى محجوزة، مغمورة في اللاشعور وعاجزة على أن تمارس في الواقع.

لم يكن النظر إلى الرغبة في حد ذاتها باعتبارها حالة نفسية بل باعتبارها مجرد قناع من أجل كسرها ومنع أي تجل لها كما يوضح ذلك دولوز. وهذا القناع يوهم الشخص المريض بأنه سيتغلب على كل العوائق. غير أن ذلك لا يعدو إلا تلاعبا واستخفافا بشخصية المريض، لأنه «بعيدا أن تكون نتيجة باتولوجية، فالخلل هو وظيفي وأساسي. بعيدا أن يكون في البداية امتدادا لنظام مغلق، فالاستهلال هو في الطبيعة، مؤسس في التنافرية (l'hétérogénéité) للعناصر التي تتألف من دعامات، وتعمل على تعويض الخلل.¹»

وفي حقيقة الأمر لم يكن اكتشاف اللاشعور ليقدم من قبل التحليل النفسي إلا لكي يعمل هذا الأخير على إبعاده وتحطيمه، فهو يعتبره دائما سلبا (Négation). لذلك فعندما يسمي التحليل النفسي إنتاج اللاشعور أو شكله، فذلك يعني صراعات أو محبطات أو تلاعبات بالألفاظ. كما قال دولوز بأن الرغبة تصبح في حالة وضع أين يكون للعلامة دور للتحكم فيها.² فالمحلل النفسي يريد دوما اختزال جميع التنسيقات التي تريدها الرغبة مثل الصبرورات والتكثيفات والتعددات (أجناس، أنواع، شعوب، قبائل...) ³. إلا أنه يعمل عمدا على تغيير مسار الرغبة الحقيقية، ويرى دائما في إنتاجاتها نقصا وسلبا حيث توسم بالخصي (Castration)، ويتم ردها إلى العقدة الأوديبية من أجل إبعادها. وفي حالة نجاح الرغبة، فإن المحلل النفسي لا يتناولها في وجودها الفعلي بل يردها إلى اعتلاء (Sublimation). وهنا يتم تجاوزها إلى شيء آخر.

¹ Deleuze Gilles, Félix Guattari, Capitalisme et Schizophrénie. L'Anti CEdipe. Paris. Minuit. 1972. P176.

² Ibid. P170.

³ دولوز جيل: حوارات. المصدر السابق. ص 103.

وفي كل الأحوال يلجأ فرويد إلى الإستعارة (Métaphore) أو إلى التأويل (Interprétation) ويخفي الحقيقة. وهكذا يقوم اختزال الرغبة الحقيقية "الرغبة الجنسية" وتحويلها إلى رغبة خفية تعود إلى الأم، إلى العائلة، وإلى مرحلة الطفولة، بدلا من تركها حرة، أو مساعدتها على الانفلات من خلال الصيرورة (Devenir)، والانفكاك من قيد الماضي. هذا الأخير هو دائما وسيلة من وسائل المحلل النفسي حيث يعتبره مرجعا يرد إليه كل التصرفات والأفعال الإنسانية، ولا يتوقف عند هذا الحد لأنه حيولة يلجأ إليها بطريقة ذكية موهما تشخيص الحالة الباتولوجية. مع أن اللاشعور لا يُمتلك؛ ليس من الماضي أبدا، فهو في طريق الإمكان. نحو الصيرورة Devenir وبإمكانه أن ينتج. فلا يمكن أن توصف الأنا بما كانت عليه، بل بما ستصير فيما بعد. لأجل ذلك يوضح فليكس غتاري (Félix Guattari) هذه الإحالة التي يعمرها المحللون النفسانيون بصورة تهكمية فاضحة بأسطورة الإحالة. ولكي يعيش الإنسان حياته سواء تعلق الأمر بجنونه، بعصابه، برغباته، بسوداويته أو بحياته اليومية "العادية" فإنه يضطر إلى الإحالة على عدد من الأساطير العمومية والخصوصية.¹

يقول دولوز في هذا السياق: « ليس للبيدوتحولات بل محطات تاريخية-عالمية. من هذه النقطة فإنه لا يبدو إلا واقعا ومتخيلا يشكلان تمييزا خاصا ورحلة خيالية (...) من أجل البرهنة على الواقع.»² ذلك يعني بأن المحلل النفسي يتلاعب على الزمن الحاضر بجعله واقعا ميتا مدفونا في التاريخ، ولا يعترف بالتحولات وبالتغيير أو القفزات والحركات. إنه باختصار لا يريد التغيير. لذلك يضبط لنا غتاري معنى الحلم في قوله: « لا يمكن رد الحلم إلى ما قد مضى، إنه ليس زمنا تاريخيا، لكنه زمن التحولات (Métamorphoses) إنه الزمن الديناميكي، بل إنه التحول.»³

يقول فرويد: « من أجل فهم صحيح للحياة النفسية (...) يجب النظر إلى اللاشعور كأساس كل الحياة النفسية. اللاشعور مماثل للدائرة الكبيرة التي تغلق على الشعور كدائرة أكثر صغرا (...) اللاشعور هو النفسي ذاته وحقيقته الأساسية.»⁴ هذا يعني أن الحياة اللاوعية مطابقة للحياة النفسية مطابقة تامة ، اللاشعور يلخص النفس كلية

¹ Guattari Félix : Les années d'hiver. Paris .Ed Bernard Barrault.1986.P195

² Deleuze Gilles : Critique et clinique. Paris. Minuit. 1993. P83

³ Guattari Félix in François Dosse. Paris. Ed. La découverte. 2007. PP315- 316

⁴ Freud Sigmund: L'interprétation des rêves. Trad. par Meyerson. Paris. Puf. 1971. PP 519 - 520

وبالتالي لا وجود إلا للماضي. لكن هل يفسر تلك الرغبات كما جاءت في الحلم؟ هل يفسر الرغبة في حد ذاتها وكما هي؟ الحلم كما يشرحه لنا دولوز ابن أحواله الراهنة وفق علاقة بين الأشياء، « يضعنا في ظروفه، إذ أن النوم يقوم بلعب الوظائف العضوية، يستبدل على الخصوص مساحة التواصل بين الأنا والأشياء الخارجية.»¹ وحينما يحلم الشخص فهو يتوقف على الظروف الخاصة التي يمر بها في راهنتها أي في المرحلة العسيرة التي يمر بها. لذلك نلاحظ بأن المحلل النفسي يفضل لعب التخفي واللجوء حتى يوارى الحقيقة ويتذرع بأحداث قديمة ماضية هي من زمن الطفولة.

في هذا السياق يعطينا دولوز مثالا عن سكيذوفريني (Schizophrène) إذ هو في نزهة يعتبر نفسه أفضل بكثير من المريض العصابي النائم على الأريكة وقليلًا من الهواء. «أما هنا في هذه النزهة حيث الكثير من الهواء، حيث الحرية، هنا في الجبال تحت الثلج مع آلهة آخرين، أو بلا آلهة على الإطلاق، بلا أسرة، بلا أب وبلا أم، إنه مع الطبيعة فقط ما ذا يريد أبي**؟ هل يريد أن يرجعني أفضل؟ هذا مستحيل. أتركني في سلام. «² فالتنسيق الذي ترمي إليه الرغبة هو آلي جمعي يكون علة تعبيرية للتلفظ، مانعا الخضوع لسلطة الدلالات، وذلك التنسيق هو حقل المحايثة (Champ d'Immanence) أو كما سماه آرتو (Antonin Artaud) بجسم بلا أعضاء (Corps sans organes)، حيث تخترقه مجموعة من التدفقات، تهرب من المواضيع ومن الذوات. أي إن الرغبة ليست داخل الذات كما أنها لا تميل نحو الموضوع، وإنما تكون محايثة لمستوى ينبغي بناؤه حيث تترامى الجزيئات وتفترق التدفقات (Les flux) لهذا فإن «الحديث عن حقيقة الرغبة هو القيام بتمييز الوضع داخل السياق.»³

ما يقوم به التحليل النفسي هو منع تشكل الملفوظات، حيث تكون التنسيقات مليئة بالصيرورات في مضمونها وبالتعدديات، وعندما تأخذ في التعبير بحروف وضمائر أو

¹ Deleuze Gilles : Bergson, Mémoire et vie. Textes choisis. Paris. Puf. 1975. P9

**لفظة "أبي" يقصد السكيذوفريني بها المحلل النفسي. لذا فهو يستمتع بالحرية بعيدا حيث الطبيعة والهواء، ويرفض العودة إلى العبادة.

² Deleuze Gilles & Félix Guattari: Capitalisme et Schizophrénie. T1. L'Anti (Edipe). Paris. Minuit. 1972. 1973. PP7-8

³ Abou Rihan Fadi: Deleuze and Guattari. A psycho- analytic Itinerary. Continuum international publishing group. London-New york.2008.P118

أفعال وكذلك أسماء أعلام و أحداث فإنه يتم المنع عن طريق إحالة ما هو عكس الملفوظات التي تصدر عن المريض.

يصرف فرويد النظر عن رغبة الطفل هانز الحقيقية التي هي ممارسة الجنس مع رفيقته، ولسان حاله يقول: « على هذه الرغبة-رغبة هانز في ممارسة الجنس مع الطفلة أن تخفي شيئاً آخر.¹ وبالتالي فإنه لا أهمية لها في ذاتها وإنما يجب إحالتها إلى شيء آخر؛ أي أن تكون الصبية ماردييل فردا من أفراد أسرة هانز.

وفي اعتقاد فرويد أن أي غريزة لا يتم التعبير عنها بميل إلى كل عضوية حية و التي تدفعها إلى الإنتاج، و إلى تثبيت حالة داخلية بتأثير من القوى الخارجية.² ويقصد هنا أنه لا يمكن للمريض أن يثبت أحواله ورغباته في العقل الواعي، وخصوصا تلك التي تمتزج بالآلام والأحزان. ولهذا فهي تنزوي في اللاوعي كون أن ضغطها ثقل على الناحية النفسية؛ لذلك يصعب في نظر فرويد البوح بها، ولكن المرضى يستخدمون كميات كبيرة من الطاقة لتكوين آليات الدفاع (Mécanismes de défense).

ومن أجل تجاوز التحليل النفسي المنغمس في إيديولوجية تعدّ النصر للنظام الرأسمالي، وتدافع عنه. فإن الفيلسوفان دولوز و غتاري عمدا إلى إنشاء طريقة مستلهمة من التحليل النفسي ذاته، وهي في ذلك تعارضه وتقوضه. هي طريقة لا تركز على جانب حضور الأب أو الأم في هذيانات الرغبة، بل تركز على جانب حضور المجتمع، أين تجري عمليات القمع والتسلط والإقصاء والتهميش التي تعكسها "أقوال" الناس.

إن البديل لدى دولوز و غتاري هو التحليل السيكلزوفيري (Schizoanalyse) حيث يقصي الإحالة والاختزال حتى لا يعرض الرغبة إلى التشويه، بل يحاول فهمها كما هي، أي بالوقوف على الرغبة الحقيقية (Vrai désir) إذ يفسح لها المجال للخروج إلى الواقع، إلى ميدان الفعل والممارسة. وتهيئة جو من الحرية كما يمنحها القدرة على الفعل. يشترط التحليل السيكلزوفيري ضرورة رفض التصور السلبي للرغبة. إذ هذه الأخيرة ليست نقصا ولا سلبا بل هي قوة (Puissance)، هي إيجاب و إثبات (Affirmation). يعطي دولوز أهمية للتنسيق الجمعي الذي يأتي بطريقة آلية. إنه ينجز

¹ Deleuze Gilles & F. Guattari. C. Parnet. A. Scala : Politique et psychanalyse. Paris. Ed. Les mots perdus. 1977.P 93

² Freud. S : Essais de psychanalyse. Trad. S. Jankelevitch. Paris. Ed. Payot. 1983.P46

إنتاجا ماديا للرغبة. وبالتالي فإن الذات لا يمكن تمثيلها ولا حتى يوجد لفظ للذات، والمصاب بالفصام لا يستطيع حتى أن يقول أنا؛ إنه بعيد، بعيد جدا عن هذه المشاكل المؤلمة، عن الفقر والحرمان، عن الشقاء...الخ¹.

إن الرغبات تندفق و تقطع. وكلمة قطع أو تقطيعات (couplages) لا يجب أن تُفهم بأنها امتناع وتوقف. لأن القطع لا يتعارض مع التدفق (flux) بل هو الشرط الذي بواسطته يتدفق كل شيء. يمكن القول بصيغة أخرى لا يمكن لدفق أو فيض ما أن يسيل إلا إذا كان مقطوعا.² والسكيزوفرينيين رحل يقفزون في جميع الاتجاهات ولا يتوقفون عن الرحيل. وأجسامهم تلك لا تتوقف عن طلب المزيد من الرغبات، رغم آلامهم. قال نيتشه: "الجسم يستمر من خلال آلامه، في الثورة على الاحتقار الذي يتعرض له."³

إن وظيفة التحليل السكيزوفريني (Schizoanalyse) تتناقض تماما مع وظيفة التحليل النفسي (Psychologie) لأن هذا الأخير يعرقل ويؤول حيث يرد الملفوظات (Enoncés) بإحالتها أو اختزالها إلى ثنائية: بابا- ماما. وفي ذلك مكوث في الماضي، والارتباط بالذكريات القديمة حيث الزمن الماضي والتاريخ العتيق مع أسطورة أوديب والرغبة في امتلاك الأم وقتل الأب، ثم الشعور بالذنب.⁴ أما التحليل السكيزوفريني فإنه يترك فضاء مفتوحا للحرية وليس للكلام، ذلك بأن الألفاظ هي قيود شُكلت خصيصا من أجل الضغط وبالتالي السيطرة والتحكم. وينظر إلى المجال الاجتماعي بأنه يقوم بسد وظيفي وبعرقلة الرغبات ومنعها من التحقق في الواقع.⁵ ما يعاني منه السكيزوفريني هو المجتمع، من عاداته وقوانينه ونظامه الفاشستي. إنه هو من ينغص عليه حياته ويثقله بمكبلات. وعندما يهذي لا يفهمه أحد ولن يتمكن المحلل النفسي من القبض على أي لفظة. ويبقى مجرد سماع ما لا يُسمع ورؤية ما لا يُرى.⁶

¹ Ibid. P30.

² Zourabichvili François : Le vocabulaire des philosophes. Paris. Ellipses. P911

³ نيتشه فريدريك: الفجر. تر. محمد الناجي. إفريقيا الشرق.. الدار البيضاء. المغرب. 2013. ص 37

⁴ Guattari Félix : Schizoanalytic cartographies. Translated by Andrew Goffey. Bloomsbury. PLC.

New york. London. 2013. P19

⁵ Deleuze, Guattari : Kafka. Pour une littérature mineure. Paris. Minuit. 1975. P8

⁶ غادامير هانز جورج: تجلي الجميل. تر: سعيد توفيق. المجلس الأعلى للثقافة. الكويت. 1997. ص 76.

الرغبة بسيطة جدا، وتظهر ببساطتها في طبيعتها حيث أن كل شيء يعتبر رغبة؛ كـرغبة النوم، والمشى والإنصات للموسيقى، والكتابة... الخ ولا تتوقف الرغبة على هذه المجالات بل تتعداها إلى أمكنة وأجواء مغايرة. وهذا ما يوضحه دولوز كأمثلة: "الربيع أو الشتاء رغبات، الشيخوخة أيضا رغبة، والموت ذاته رغبة".¹ كما أن الحياة رغبة، و كل ما يتصل بالإنسان باعتباره كائن مجرب، أو يدخل في مضمار التجربة. ف"لا توجد الرغبة أبدا من أجل تأويلها، إنها هي التي تجرب".² وأمام ما تتعرض له الرغبة من سوء فهم، فإن دولوز رفض أن يتم تأويلها، فالرغبة إذن هي دوما امتلاء وليس نقص أو حاجة إلى شيء مفقود.

يمكننا أن نستخلص أنه إذا كانت الرأسمالية قد استحوذت على منطق الرغبة ومنطق الثورة، وأفرغتهما من المعنى بسبب تواطئها، وهذا ما ساهم في إبعاد اقتصاد الرغبة عن اقتصاد الإنتاج حيث لكلهما مجال؛ الرغبة مجالها خاص (Désir privé) يعني ذلك انحصارها في الأسرة. وأما الإنتاج فمجاله عام (Désir publique) أي المجتمع، فإن الأمر مهما أضحى عسيرا فإنه لا يمكن الارتقاء في حضن خيبة الأمل التي لا تقضي على البلية كما يقال، لذلك فإن دولوز وغتاري لم يسقطا في الحلم اليوتوبي في آخر المطاف؛ فما يصبوان إليه ذا بعد عملي، في حاجة إلى ممارسة إذ يكفي الأمل في استعادة النشاط الثوري لأن الرغبة كما سلف وأن حللنا في حاجة إلى الخروج عن ربة السياج الأسري أو جلسة الأريكة التحليلية المقنّعة حتى تتمكن من الولوج إلى المجتمع بكل ما تملك من قوة. وهذه الأخيرة تستطيع أن تتحقق بتضافر جميع جهود ومساندة كل من المحلل السكيزوفريني، والفنان والفيلسوف والأديب والمناضل الثوري لأجل ثورة جزيئية (Révolution moléculaire) بهدف التخلص من القمع والاستغلال. وقتئذ يتحقق تحطيم الرأسمالية، والقضاء على ضغوطات الأنا الأعلى بجميع سلطه.

يقدم دولوز انتقاده من أجل إعطاء تصور صحيح للرغبة. لذا فإنها ليست لذة معكوسة ولا يمكن وصفها بالسلب (Négation) ولا هي عاشقة للألم لتلحق الضرر لذاتها حتى تصل إلى مرحلة التلذذ والانتشاء. كل ذلك التصور لا يصب في الاتجاه الصحيح لأنه تعثره نقائص كثيرة.

¹دولوز جيل، حوارات، مصدر سابق، ص 122

يشرح دولوز الاتجاه الذي يسير عليه المازوشي؛ حيث هو اتجاه مختلف، و هو في العمق من أجل البناء وليس للهدم، هو بناء متواصل للرغبة في سيولاتها، حيث تواصل سيرها حتى تحقق ذاتها. يقول دولوز: "إن الشخص الذي يحب الألم يبرهن بشكل عميق عن ذاته برابط اللذة مع ألمه الخاص."¹ أي أن الطريق الذي يراه ملائماً لا يكون إلا عن طريق الألم لا شيء آخر، الألم هو الذي سيحرر المازوشي من عقدة الذنب البعدي، لهذا فهو يستبقه متعمداً قبلها، ولا يريد تأجيله لاحقاً. وتنسق الرغبة دائماً نفسها فتتنظم تنظيمياً آلياً فوق مستوى المحايثة أو مستوى التركيب الذي يجب بناؤه عبر المسار الذي تريد أن تتوجه إليه، فتارة يكون المسار عادياً وتارة يكون غير عادي، أي يكون غريباً كمسار المازوشي.

ومن يستطيع تتبع مثل هذه الحالات كالسكيزوفريني أو المازوشي، من له القدرة على تتبع خطوط الرغبة في تحولاتها وتوليفاتها مع أشياء العالم.² حيث يمكننا من فهم كيفية عمل الآلات الراغبة الجماعية، وطبيعة الخطوط التي تبنيها، والتي هي دائماً في الصيرورة والتحقق، خطوط تغير من طبائعنا وتمدنا بدفق الحياة والتعدد في مسلك يصبح فيه "الفرد هو العالم" و "الجنس هو كل الأجناس".

لهذا كان الفرد تعدداً عند دولوز، فليس الأفراد هم من يتحقق في جنس، بل الأجناس هي التي تتحقق في الأفراد، لهذا فعند دولوز لا يصح أن نقول لكل جنس أفراد، بل ينبغي القول أن "لكل فرد أجناسه"³

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- دولوز جيل: حوارات. كلير بارني: حوارات في الفلسفة والأدب والتحليل النفسي والسياسة. تر: عبد الحى أرزقان، أحمد العلي. إفريقيا الشرق. المغرب. لبنان. د/ط. 1999
- 2- Deleuze Gilles, Félix Guattari, Capitalisme et Schizophrénie. L'Anti Œdipe. Paris. Minuit. 1972.
- 3- Deleuze Gilles & F. Guattari. C. Parnet. A. Scala: Politique et psychanalyse. Paris. Ed. Les mots perdus. 1977.
- 4- Deleuze Gilles: Critique et clinique. Paris. Minuit. 1993.
- 5- Deleuze Gilles: Bergson. Mémoire et vie. Textes choisis. Paris. Puf. 1975.
- 6- Deleuze Gilles & Félix Guattari: Capitalisme et Schizophrénie. T1. L'Anti Œdipe. Paris. Minuit. 1972. 1973.

¹ G. Deleuze : Présentation de Sacher Masoch. Paris. Minuit. 1967. P41

² Deleuze Gilles & Félix Guattari: Capitalisme et Schizophrénie. T1. L'Anti Œdipe. Op. Cit. P161

³ L'Anti Œdipe. Op. Cit.. P352

- 7-Deleuze, Guattari: Kafka. Pour une littérature mineure. Paris. Minuit. 1975.
- 8-Deleuze Gilles.: Présentation de Sacher Masoch. Paris. Minuit.1967.
- 9-Guattari Félix: Les années d'hiver. Paris .Ed Bernard Barrault.1986.
- 10-Guattari Félix: Schizoanalytic cartographies. Translated by Andrew Goffey. Bloomsbury. PLC. New york. London. 2013.
- 11 - فروم إريش: ما وراء الأوهام. تر. صلاح حاتم. دار الحوار للنشر و التوزيع. اللاذقية. ط.1. 1994. بيروت. ط.1. 1981.
- 12- فرويد سيجموند: الحلم وتأويله. تر. جورج طرايشي. دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. د/ ط. 1992.
- 13- فرويد سيجموند: مسائل في مزاولة التحليل النفسي المعاصر. تر. جورج طرايشي. دار الطليعة للطباعة.
- 14- فرويد سيجموند: معالم التحليل النفسي. تر. عثمان نجاتي. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. ط. 5. 1986.
- 15- فرويد سيجموند: ابليس في التحليل النفسي. تر: جورج طرايشي. دار الطليعة. بيروت. ط. 3. 1999.
- 16- غادمير هانز جورج: تجلي الجميل. تر: سعيد توفيق. المجلس الأعلى للثقافة. الكويت. 1997.
- 17- نيتشه فريدريك: الفجر. تر. محمد الناجي. إفريقيا الشرق.. الدار البيضاء. المغرب. 2013.
- 18- Abou Rihan Fadi: Deleuze and Guattari. A psycho- analytic Itinerary. Continuum international publishing group. London-New york. 2008.
- 19-Dosse François: Gilles Deleuze, Felix Guattari. Biographie croisée. Paris. Ed. La découverte. 2007.
- 20-Freud Sigmund: L'interprétation des rêves. Trad. par Meyerson. Paris. Puf. 1971.
- 21-Freud. S: Essais de psychanalyse. Trad. S. Jankelevitch. Paris. Ed. Payot. 1983.
- 22-Zourabichvili François: Le vocabulaire des philosophes. Paris. Ellipses.